صعوبة ترجمة النص الدرامي

الأستاذة :حساين سهام
أستاذة مساعدة قسم (ا) جامعة وهران أحمد بن بلة
معهد الترجمة

تشمل الدراما عددا كبيرا من المجالات ذات الأهمية الكبرى، وتمثل كل واحدة منها وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري. فالدراما هو نوع من النصوص الأدبية التي تؤدي تمثيلا في المسرح أو السينما أو التليفزيون أو الإذاعة.

إن " الدراما هي عملية ترجمة ". و لأنها تشكل جزءا من كل متكامل، فإن هناك مطالب كبيرة على عاتق المترجم من ناحية قابلية الترجمة للأداء، مما يزيد من التنافس بين الحاجة لإرساء علاقات بين النص المترجم والنص الأصلي من جهة والحاجة لصياغة نص في اللغة المنقول إليها من جهة أخرى. و لم تحظ ترجمة النص الدرامي حتى الآن إلا بالقليل من الانتباه من جانب الباحثين، ربما بسبب المشاكل الخاصة التي تقابل مترجم المسرح على عكس ترجمة الرواية أو الشعر. فإن الثنائية الكامنة في فن الدراما تتطلب لغة تربط المشهد المسرحي بالصورة المرئية والمسموعة. لذلك فالمترجم يقع في مأزق الاختيار بين رؤية الدراما على أنها نوع أدبي أو كجزء من إنتاج مسرحي، إذ يمكن أن يتعامل المترجم مع المسرحية كعمل أدبي عندما يقوم – مثلا – بترجمة الأعمال الكاملة لكاتب مسرحي ما. و لكن نرى أن الكلمات

التي يقولها الممثل على المسرح تشكل عنصرا واحدا فقط من الإنتاج المسرحي إلى جانب عناصر أخرى مثل الإضاءة والديكور والملابس والموسيقى.

إن ترجمة النص الدرامي يسعى المترجم فيه إلى هدف جمالي من خلال أشكال متجددة للتعبير. و اللغة السينمائية هي تفاعل مثمر بين النظر و السمع، أي بين الصورة و الصوت كبنية تحمل فوقها لبنات الفن السينمائي، الإخراج، التمثيل، المونتاج، الموسيقى والصوتيات،والتشكيل متمثلا في الديكور و الإكسسوارات والألوان وخلافه[1]. كما أن لغة النص الدرامي حافلة بعناصر المجاز والتشبيه والكناية، سواء من خلال استخدام اللقطات و تجاورها و تركيبها، أو استخدام الجزء بديلا عن الكل أو العكس. فاستخدام اللقطة المكبرة تمثيلا للكل من خلال الجزء أو العكس. أو استخدام العرض البطيء أو السريع، و حتى تحركات الممثلين أنفسهم تعمل في أغلب الأحيان على خلق إيحاءات و تعبيرات خاصة.

إن مترجم النص الدرامي يتمتع بقدر كبير من الحرية في التعامل مع النص الذي يترجمه. وهو وإن كان يراعي الدقة في الترجمة، يستطيع التصرف في النص بطريقة ما، فيحذف شيئاً هنا ويضيف شيئاً هناك، بل إنه يستطيع إعادة كتابة النص في صياغة جديدة دون أن

[1]– سعيد شيمي، التصوير السينمائي تحت الماء (رؤية إبداعية لعالم خلاب ،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1996، ص 76.

تترتب عن ذلك أية آثار سلبية من الناحية العلمية. لكن هذا لا ينفي انه يحتاج إلى معرفة اللغة الهدف معرفة عميقة، كما يحتاج إلى خيال خصب، شأنه في ذلك شأن الأدباء عامة. فالنص الدرامي غالباً ما يكون مكتوباً بلغة تصويرية صعبة بعيدة عن المستوى العادي للغة وأشكال الصياغة المألوفة، مما يتطلب من المترجم كفاءة عالية وحسّاً فنياً ومعايشة للعمل الذي يترجمه، وانسجاماً مع مضمونه لكي يتمكّن من نقل الأصوات والكلمات والجمل والصور، واتّساق حركة فتح وقفل الشفاه للممثل الأصلي مع مخارج الألفاظ باللغة الجديدة وذلك لاختلاف النطق وحركة الفم والشفاه ومخارج الأصوات بين اللغتين[2]، وكلّ ما في النص الأصلي من عناصر جمالية بأكبر قدر ممكن من الأمانة. فالمترجم الناجح يشبه الممثل الناجح إلى حد كبير، فكما أن نجاح الممثل يقاس بمدى تمكنه من تقمص ملامح وسمات الشخصية التي يلعب دورها، بحيث لا نحسّ نحن المتلقين أو المتفرجين بوجوده كممثل، فإن نجاح المترجم يقاس بمدى التوفيق الذي يصيبه في تغليب صوت من يترجم له على صوته الخاص.

في حين إن معرفة اللغتين لا تكفي لترجمة النص الدرامي، فشخصية المترجم وثقافته وقدرته على الإحاطة بتاريخ وحاضر وثقافة كل من اللغتين ضرورية لمعرفة خبايا النص وفهم سياقه، لذلك ينبغي

---

[2]– سيربازيل بارتليت : تأليف التمثيلية التليفزيونية ،ترجمة عزت النصيري ،مراجعة تماضر توفيق ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1980 ، ص 53–55

أن يتشبّع المترجم بمفاهيم الثقافات التي ينقل عنها وينقل إليها.[3] فالبيئة الجغرافية والمناخ لهما تأثير واضح على اللغة. كما أن المترجم ليس محاصر فقط بلغة العصر الذي يترجم له، ولكن بمجموعة من العناصر ذات نسق خارج لغوي، إيديولوجي، سياسي وجمالي. وتعتبر الفترة الزمنية التي تمت فيها الترجمة، بمثابة معيق على مستوى اختيار الطريقة الموظفة في الترجمة. فأهمية النص ونوعيته مهمة في الرغبة في الترجمة للنص، فكل فترة تستوجب تحيينا للترجمة، فعندما يكون النص الدرامي قديما فإن المسافة التي تفصله عن زمن الترجمة تضاعف من مشاكل الترجمة. وذلك لأن لغة النص المصدر قديمة ويمكنها أن تطرح عدة صعوبات في الفهم. ولهذا نجد دائما تأويلات مختلفة وحلولا عديدة لتقريب النص من القارئ كما أن هناك صعوبات تاريخية تعود إلى حالة اللغة في فترة زمنية معينة. و بالتالي نظرا لجهل المترجم للسياق التاريخي والاجتماعي والثقافي للنص الدرامي، فقد تأتي ترجمته مكتظة بالأخطاء على المستوى الحضاري وحتى على المستوى اللغوي.

وتعدّ مهمة مترجم النص الدرامي مهمة في غاية الصعوبة ولا يجني من ورائها الشكر في معظم الأحيان. فحين يرتكب المترجم خطأ بسيطا ينتقده الناس بشدة، وحين ينجح في عمله لا يلقى إلا امتداحا لا يذكر، إذ غالبا ما تسوده قناعة لدى الجميع بأن أي شخص يعرف لغتين يكون بإمكانه عمل ما قام به المترجم الذي عانى أشدّ المعاناة

---

[3]– رشيد برهمون، الترجمة و رهانات العولمة و المثاقفة، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، المجلد 31، يونيو–سبتمبر2002،ص137.

لإنتاج نص مكافئ. فرغم ضرورة إلمام المترجم بحصيلة لغوية ثرية وعريضة ومتنوعة، إلا أن هذا ينبغي أن يكون مقدمة للتخصص في مجال معرفي بعينه (الميدان الدرامي مثلا). وهذا التخصص هو الذي يوفر للمترجم بتراكم الممارسة والخبرة لائحة ضخمة من المفردات والمصطلحات التي تضمن السرعة والدقة والفاعلية في إنتاج النص المترجم.

إن ترجمة النص الدرامي يجب أن تكون أمينة للنص الأصلي بحيث يتوهم قارئها أنه أمام الأصل لا الترجمة. و عليه فان المترجم الجيد هو الذي يطرح الأسئلة التالية خلال قيامه بترجمة النص الدرامي:

–هل سيفهم أغلب القراء هذا المصطلح أو هذا التعبير؟
– هل هذا المصطلح أو هذا التعبير سيؤثر سلبا على المعنى العام للنص أم أن سياق النص كفيل برفع اللبس؟

– هل سيفهم المتلقي المصطلح المستحدث أم هناك حاجة لإرفاقه بجملة تفسيرية؟

– ما هو المستوى اللغوي الذي سيفهمه المتلقي؟
– هل هناك حاجة لتغيير أسلوب النص الأصل أم لا؟
– أي تركيبة (مضمر–مفصح عنه) ستمكّن القارئ من فهم الترجمة؟...إلى غير ذالك.

و هكذا فالمطلوب أولا الأمانة في نقل روح النص الدرامي وبيئته من خلال لغة تترجم وتنقل لغة الآخر من أجل تذوق اختلاف مفاهيمها وثقافتها، وليس من أجل تعريب مفهومها و أسلوب تعريبها وطريقة انفعال أصحابها. فاللغة جزء من بناء أي عمل فني، وهدفها ليس التوصيل فقط أو رواية الأحداث فحسب، بل هي تعبير عن نمط تفكير و أسلوب حياة، وجماليات بناء حوار ينقل الحساسية الدرامية وخلق مستوى تعبير.[4]

يجمع دارسو الترجمة وممارسوها على أن من أعظم مشاكل الترجمة هي عجز المترجم – أياً كان – في توصيل المعنى الدقيق لأية مفردة في النص الذي يريد نقله إلى لغة أخرى، وترجع هذه المشكلة إلى عدة عوامل، أهمها:

– أن كل لغة تحمل في طياتها العديد من المرادفات التي تختلف في معانيها اختلافاً طفيفاً عن بعضها البعض، ويقول الكثيرون بأنه لو لم يختلف المرادف (أ) عن المرادف (ب) لما وجد الاختلاف في شكل الكلمة ولا هيئتها.

–إن كل لغة لا بد وأنها تنتمي إلى ثقافة معينة، وبالتالي فإن المترجم قد ينقل الكلمة إلى لغة أخرى ولكنه لن يستطيع أن ينقل ثقافة هذه الكلمة بشكل فعال، بحيث ينقل تصوّر صاحب الكلمة الأصلية

[4] - George Mounin, linguistique et traduction, ed Gallimard France, 1 ére édition 1976, p61.

إلى اللغة المستهدفة في الترجمة. وقد تؤدي تلك الاختلافات اللغوية (أو حتى اللهجية) على مستوى المفردة إلى إشكاليات كبيرة.

تلتمس الدراما موضوعها من الحياة ذاتها، بكل جوانبها " فهي ترتبط بالحياة الإنسانية والإنسان ومشاكله كلها ، والدراما في تطورها تحاول أن تجد نوعاً من التفسير لهذه الحياة التي ما زالت بعض أسرارها مغلقة على الإفهام، هذا التفسير الذي يهدي الإنسان إلى جوهر هذه الحياة ". وعلى الفن الدرامي أن يقدّم المادة للناس في صورة مركّزة ومنتقاة من بين كثير من الأفكار، ومرتبطة ببعضها البعض ارتباطا منطقياً بحيث لا يكون مؤلف الدراما ساردا لأمور الحياة في إطناب ممل، وإنما يختار ويركّز الأفكار التي تتطور حول الصراعات الموجودة في الحياة. فالصراعات الموجودة في العمل الفني الدرامي لا يمكن اعتبارها صراعات إلا إذا كانت بين أمرين متوازنين أو متوازيين، بمعنى أن يكون الصراع متكافئاً، ويتناول مثلاً الصراع بين الإنسان ونفسه كما في هاملت، أو بين الإنسان والمجتمع وهكذا.

إن من يقرأ تاريخ الفن يمكنه أن يعرف أن النهضة الفنية في أثينا كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوعي الدرامي الذي كان موجوداً حينئذ، وأن هناك صلة طردية بين الجمهور والمادة، فكلما ازداد اهتمام الجمهور كلما ارتفع مستوى المسرح، وكلما ارتفع المستوى الفني للمادة كلما ازداد اهتمام الجمهور بها.

و أخيرا، للترجمة أصول معترف بها في جميع أنحاء العالم وعلى الرغم من اجتهادات كثيرون حول هذه الأصول إلا أن الاجتهاد دائما

يهدف إلى الجودة وليس إلى التحقق من عبء الدقة. إلّا أنّ هناك أخطاء عديدة يقع بها عديد من المترجمين إمّا عن قصد أو عن دون قصد.

إنّ عمل الترجمة هو عمل شاق وصعب، ويجب على من يعمل فيه أن يكون خبيرا. فهي عمل يتطلب ترجمة وإعداد وقدرات تشغيل الحواس والمشاعر عند الممثل إذ يجب أن يستعمل الرؤية والسمع مع الصوت وهذه القضايا مهمة جدا.و بالتالي إن الترجمة حين يتولى أمرها من ليس أهلا لها، فإنها تجر في أذيالها آثارا سلبية لا تخطئها العين المبصرة. وفي كل حال من الأحوال إن الترجمة السمعية البصرية عامة و النص الدرامي خاصة وسيلة اتصال بين الحضارات، يساهم في تفاعل وفي تعزيز تراكم العطاء الإنساني، لذا يجب الاهتمام به وفهم جوانبه المختلفة.

قائمة المصادر و المراجع المعتمد عليها:

[1]– سعيد شيمي، التصوير السينمائي تحت الماء (رؤية إبداعية لعالم خلاب ،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1996.

[2]– سيربازيل بارتليت : تأليف التمثيلية التليفزيونية ،ترجمة عزت النصيري ،مراجعة تماضر توفيق ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1980 .

[3]– رشيد برهمون، الترجمة ورهانات العولمة والمثاقفة، مجلة عالم الفكر، الكويت،ع1، المجلد31، يونيو–سبتمبر2002،ص137.

[4]- George Mounin, linguistique et traduction, ed Gallimard France,1 ére édition 1976, p61.